فتح المنّان

في جواب عبد الرحمن لوح

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله تعالى على سيدنا
محمد وسلم تسليما ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا
ورسولا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله الذي نبه أهل السعادة من نوم الغفلة والجهل
والعصيان وأعراهم بحلل الثواب والمرضات والغفران
والصلاة والسلام أبدا على من أنقذنا من الخسران والحرمان
حتى سلك بنا مهيعا خلنا الجنان وبنجينا من النيران
وعلى آله وصحبه الفرسان ومن تبعهم بإحسان إلى يوم
الدين من الإنس والجان. أما بعد، فإنك أيها التلميذ
سألتني أن أكتب لك وصية تنتفع بها في السر والجهر وتدفع
بها عنك مكايد الشيطان فأجبتك إلى ذلك بعد
الاستخارة حتى وضعت لك نبذة تغنيك عن الاستئناس
والأنيس وتنفعك إن شاء الله أنت في الدنيا والآخرة

وكل من رغب فيها من امثالك وسميتها بفتح المنان
في جواب عبد الرحمن والله تعالى اسأل ان يجعلها
عملا صالحا خالصا متقبلا وان يجعلها سببا لنجاتنا
نحن وانت من شرور الدنيا والاخرة وكل من رغب فيها بجاه
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالله تعالى استعين
واياه ارجو واخاف

فقلت اوصيك ونفسي بتقوى الله العظيم لانه افضل
من كل شيء وفي شذور الاذكار لشيخنا سيدي ابن المختار
رضي الله عنه وعنا به ان الوصية في العفايد وان التقوى
راس كل حكمة وجماع كل خير ونعمة فمن اراد العلم
فليتق الله ومن اراد الرزق فليتق الله ومن اراد النجاة
فليتق الله ومن اراد ان يكون اكرم الناس فليتق الله انتهى
فان قلت فبين لنا التقوى حتى نعلمه قلت اعلم
ان التقوى عبارة عن امتثال الاوامر واجتناب النواهي لاخوف
بلاء الله وعذابه مع الاصرار على الذنب كما يفهمه

بعض السفهاء الذين غرهم إبليس اللعين ترى بعضهم
يقول إني خائف من ظلمة القبر وضيقه وعذاب النار
وشدتها وألم الموت وسكرته مع الإصرار على الكبائر
كالتمر إلى الأجنبية والكذب والغيبة وكثرة الفضول
وإن قلت له هذا حرام قال لك هذا لا يفوز أحد أن يتركه
لأن جميع الناس يفعلونه مع أنه لو حشر الناس إلى النار
لا يسره أن يجتمع معهم في العذاب بل يسوءه ذلك
كل ترحة ولم ير أن المعصية ممنوعة حرام قلت أوجلت
ولم يجوزها ازدحام الخلق عليها واجتماعهم فيها بل
كما كانت ثقيلة عند الله في الزمن الأول كذلك كانت
إلى الآن ولكن المصيبة إذا عمت هانت ولذت الزانية
أن لو تكون النساء كلهن يزنين ليخفين فضيحتها وكذلك
العالم الجاهل لا يحب العلماء العاملين ولو لم يكن فضل
المتقين إلا قوله تعالى ﴿هدى للمتقين﴾ لكان كافيا
ثم إن للتقوى ثلاث مراتب كما في البر بر للبدة التي رضي

اللّٰه عنه وبعنا به الاولى التوقي عن العذاب المخلد
بالتبرا من الشرك والثانية التجنب عن كل ما يوثم من قول
او فعل حتى الصغاير وهو التقوى شرعا والثالثة
ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره
وهو التقوى الحقيقي المطلوب بالاولى قوله تعالى
والزمهم كلمة التقوى والثانية قوله تعالى
ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته انتهى
وفي الحديث الكرم التقوى وفسره بعض العلماء فقال
معناه ان الكرم لا يحصل في المرء الا اذا كان تقيا يجتنب
الشبهات ويبتعد من المحظورات ويكون فيه المكارم
الدينية والاخلاق السنية والشيم الحسنة وقد اوصى
النبي صلى الله عليه وسلم رجلا فقال له عليك بتقوى
الله فانه جماع كل خير وعليك بذكر الله وتلاوة
القرآن فانه نور لك في الارض وذكر لك في السماء

واحفظ لسانك الامر خير وانك به تغلب الشيطان وان قلت
ما كيفية امتثال الاوامر واجتناب النواهي قلت فاعلم
ان ذلك لا يمكن لعبد الا بعد معرفة ما امر ربه به وما
نهاه عنه والمعرفة لا تنال الا بعد التعلم فالاول انه
وجب على العبد ان يقدم التعلم على العبادة وفي المنهج
لشيخنا وقدوتنا الغزالي رضي الله عنه وعنا به امين
ما لفظه واعلم ان العلم والعبادة جوهران لا جلهما
كان كل ما ترى وتسمع من تصنيف المصنفين وتعليم
المعلمين ووعظ الواعظين وتذكير الذاكرين بل لاجلهما
انزلت الكتب وارسلت الرسل بل لاجلهما خلقت
السموات والارض وما بينهما من الخلق فتامل ايتين
في كتاب الله عز وجل احداهما قوله جل ذكره
الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل
الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله
قد احاط بكل شيء علما وكفى بهذه الاية دليلا

عَلَى شَرَفِ الْعِلْمِ لَا سِيَّمَا عِلْمُ التَّوْحِيدِ وَالْآيَةُ الثَّانِيَةُ
قَوْلُهُ جَلَّ جَلَالُهُ مِرْقَابِلِ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ
إِلَّا لِيَعْبُدُونِ وَكَفَى بِهَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلًا عَلَى شَرَفِ الْعِبَادَةِ
وَلُزُومِ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا فَاعْلَمْ بِأَمْرَيْنِ هُمَا الْمَقْصُودُ
مِنْ خَلْوَةِ الْأَرْبَعِينَ فَحَقٌّ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ لَا يَشْتَغِلَ إِلَّا بِهِمَا
وَلَا يَتْعَبَ إِلَّا بِهِمَا وَلَا يَتَفَكَّرَ إِلَّا فِيهِمَا فَاعْلَمْ أَنَّ مَا سِوَاهُمَا
مِنَ الْأُمُورِ بِالْكُلِّيَّةِ لَا خَيْرَ فِيهِ وَلَغْوٌ لَا حَاصِلَ لَهُ فَإِذَا عَلِمْتَ
ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ الْجَوْهَرَيْنِ وَأَفْضَلُهُمَا
وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ فَضْلَ
الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أُمَّتِي وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظْرَةٌ إِلَى الْعَالِمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ
صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَشْرَفِ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ
اللَّهِ قَالَ هُمْ عُلَمَاءُ أُمَّتِي فَبَانَ لَكَ أَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ
جَوْهَرَيْ أَمْرِ الْعِبَادَةِ وَلَكِنْ لَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنَ الْعِبَادَةِ

مع العلم والا كان علمه هباء منثورا فان العلم بمنزلة
الشجرة والعبادة بمنزلة ثمرة من ثمراتها فالشرع
للشجرة اذ هي الاصل لاكي الانتفاع بثمرتها فاذا
لابد للعبد ان يكون له من كل الامرين حظ ونصيب ولهذا
قال الحسن البصري رحمه الله تعالى املبوا هذا العلم
ملبا لا يضر بالعبادة والملبوا هذه العبادة ملبا لا يضر
بالعلم وفيه ايضا فانك اولا يجب عليك ان تعرف
المعبود ثم تعبده وكيف تعبد من لا تعرفه باسمائه
وصفات ذاته وما يجب له وما يستحيل في نعته فربما
تخطئه شيئا والعياذ بالله مما يستحيل الحق فتكون
عبادتك هباء منثورا وفيه ايضا ثم يجب ان تعلم ما
يلزمك فعله من الواجبات الشرعية على ما امرت به
لتفعل ذلك وما يلزمك تركه من المناهي لتتركه ذلك
وكيف تقوم بصناعة لا تعرف ماهي وكيف هي وكيف
يجب ان تفعل او كيف تجتنب المعاصي لا تعلم انها

معاصي حتى لا تقع فيها ثم اعلم ان العلم الذي لم يلزمه
في الجملة فريضة ثلاثة اقسام علم التوحيد وعلم
الشريعة وعلم التصوف وعليك بان ترعى جوارحك
السبعة وهي اللسان واليدين والبطن والفرج والرجلين
والعينين والاذنين وكيفية رعيها ان تحفظ
اللسان عن الغيبة وفي نصيحة البث لجميع كتب شيخنا
الكبير الشيخ سيدي المختار رضي الله عنه وارضاه عنا
وجعلنا ممن تولاه ما لفظة اوصيكم بتقوى الله
العظيم وامساك السنتكم فان اللسان اعدى الاعداء
واصدق الاصدقاء فان امسكته اوشكرت به نجوت
وان اهملته فهو اصدق الاصدقاء وفي الخبر لسانك
اسدك فان امسكته نجوت وان اهملته اكلك وقوله
صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة
ثلاثة عالم لم ينفعه الله بعلمه ومكثر القول
في الباطل وعاق الوالدين وقال عمر لشاب مر به فاث

يوم يا شاب إذا وقيت شر ثلاث فقد وقيت الشر كله
لقلقك أي لسانك وقبقبك أي بطنك وذبذبك أي فرجك
قلت بل ورد مثله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
كما في الجامع الصغير للحافظ السيوطي وقال صلى الله
عليه وسلم لمن اختصر له في الوصية اتق الله وامسك
لسانك فيكرر السؤال ثلاثا وهو يكرر الوصية قلت
وقد جاء في الحديث الصحيح من صمت نجا وفسره بعضهم
فقال معناه من وأنب على الصمت نجا من البتن ومن وقوع
الآفات والمحن كما قال صلى الله عليه وسلم كلام
ابن آدم كله إما عليه أوله وفي رواية كلام ابن آدم كله
عليه إلا أمر بمعروف وقال صلى الله عليه وسلم إذا أصبح
العبد فإن الأعضاء تشتكي إلى اللسان فتقول اتق الله
فينا فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا وقال
صلى الله عليه وسلم أكثر خطايا ابن آدم في لسانه
وقال بعض السلف لأن أحفظ في المنطق أحب إلي من كثير

الصلاة والصوم ومن آفات اللسان أن عدم إمساكه يقسي
القلب ويقسي القلب ويقلل الرزق لخبر إذا أراد الله
على عبد هوانا أو قساوة في قلبه أو حرمانا في رزقه فاعلم
أنك تكلمت بما لا يعنيك وقال مالك من عد كلامه
من عمله أقله وقال الهلالي رضي الله عنه:

فكل ما حصده اللسان يجده يوم الجزا الإنسان

ومما يستعان به على حفظ اللسان ثلاثة شغله بالذكر
الدائم والخلوة عن الخلو وقلة المطعم وقال عليه
السلام هل يكب الناس في النار على وجوههم أو على
مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم وقال من حسن إسلام
المرء تركه ما لا يعنيه وروى عن بعضهم أن ثلاثة إذا كن
في موضع فالرحمة مصروفة عنه ذكر الدنيا والضحك
والوقيعة في الناس فاحفظ لسانك يا أخي تسلم ومما
يستعان أيضا به على حفظ اللسان ما في شرح المرشد
وفيه ومن آفاته السلامة من آفات لسانه فليكثر

مرفراة سورة الناس وسورة الفلق وأما البطن فيجب عليك
ان تحفظه من الحرام والشبه ولا تاكل الا حلالا وهو ما
جهل اصله او علم وفي الحديث ما جاءك من غير مسئلة
ولا استشراف نفس فخذه فانما هو رزق ساقه الله اليك
وفي الحديث ايضا من اكل الحلال الماع الله احب ام كره ومن اكل
الحرام عصى الله احب ام كره وقال بعضهم كل ما شئت فمثله
تفعل واصحب من شئت فانت على دينه فيتعين على المومن طلب
الحلال وفي الحديث طلب الحلال جهاد وفسره بعضهم فقال
معناه ان نفس بني ادم اميل الى الحرام لاتساعه وكثرته
فاذا خالفها في تحصيل الحلال مع عزته وقلته فكانه جاهد
في سبيل الله مع اعدا به فجعل الله اهتمام العبد في طلب
الحلال مكفرا لبعض ذنوبه كما قال صلى الله عليه وسلم
ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الهم في طلب الحال وقال
سيدي احمد الهلالي رضي الله عنه في ارجوزته
وكل لحم من حرام فد نبت فالنار اولى به كما ثبت

ولي انا

ثلاثة دعوتهم لا تقبل فلعاكما عن النبي نقلوا
مكثر الغيبة اكل الحرام ذو الغل والحسد ايضا للانام
ومن اذ خل لقمة الربا في بطنه فلا يقبل الله عمله مدة
اربعين يوما فاجتنبه يا مريد اعاننا الله واياك على رعاية
وداعه وحفظ ما اودعنا واما البرج فيجب حفظه من الزنى
ونحوه وكذا الكسرة عن العيون وعن الشراب والحيوان
ومما يعين على حفظ البرج كثرة قراءة سورة البقرة
والدوام على قول سبحان الملك القدوس وكثرة قراءة
والسماء والمار وفاغتنم ايدنا الله واياك بنصره واما الرجلان
فيجب حفظهما من السعي الى الممنوع كالمشي الى السرقة
او الى اللهو غير المباح او الى النميمة او الى السلاطين
بلا ضرورة قال بعض الحكماء من شارك السلطان في عز
الدنيا شاركه في ذل الآخرة وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم سيكون بعدي امراء يظلمون ويكذبون

بمرضهم فليس مني
وليست منه وروى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال ابغض القراء الى الله الذين يزورون الامراء
وفي الخبر العلماء امناء الله وامناء الرسل على عباد الله
مالم يخالطوا السلاطين فاذا فعلوا ذلك خانوا الرسل
فاحذروهم وقال الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم
يزور الامراء قال محمد بن مسلمة ذباب على العذرة
احسن من قارئ على ابواب هؤلاء قال سفيان الثوري
في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ازداد رجل
قربا من السلطان الا ازداد من الله بعدا ولا كثرت اتباعه
الا كثرت شياطينه ولا كثر ماله الا كثر عقابه وقال ابن
مسعود رضي الله عنه ان الرجل يدخل على السلطان
ومعه دينه ويخرج وما معه شيء فيل له كيف ذلك
قال ارضاه بما اسخط الله فلو لم تمسك عنان القلم

لأتيناك في هذا الموضع بأحاديث كثيرة ولكنك مبتدئ
لا تحمل الثقيل في هذا الوقت ولا كراهة يديك بهذه الورقات
واجعلها نصب عينيك ووفقنا الله وإياك للتحفيظ
وأما اليدان فلا تمس بهما ما لا يحل لك مسه من الأشياء
كالأجنبية أو مال المسلم بغير إذنه ولا تكتب بهما ما
لا يجوز النطق به وأما العينان فغضهما عما لا يحل لك
النظر إليه من المحارم وهي كثيرة منها النظر للمرأة أو لصبي
بشهوة نفس ومنها النظر في كتاب الرجل بغير إذنه
فكأنما ينظر في جمرة جهنم ومنها التطلع على ما ستر عنك
من حاجة وغيرها ومنها إمالة النظر فيما الذي لك في دخوله
من بيت ونحوه من غير إذن ومنها التطلع على عورة
إلا أن يكون زوجين وقد قيل لا ينبغي لأنه يورث العمى
ويذهب بالحياء وربما يرى ما يكره فيؤدي إلى البغضاء
ومنها نظر الرجل إلى عورة نفسه لغير ضرورة وفي تحريمه
وكراهته قولان وقيل إن فاعله يبتلى بالزنى ونحوه

وَفِيهِ جَرْبٌ فَقَدْ وَمِنْهَا النَّظَرُ إِلَى الْجَبَابِرَةِ بِعَيْنِ التَّعْظِيمِ
وَالرِّضَى بِأَحْوَالِهِمْ وَاتِّبَاعُهُمُ الْبَصَرَ تَعْظِيمًا وَمِنْهَا النَّظَرُ
بِعَيْنِ الِاحْتِقَارِ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ وَكَيْفَ تَحْتَقِرُ مَنْ لَا تَعْلَمُ
بِأَنَّكَ خَيْرٌ مِنْهُ وَمِنْهَا النَّظَرُ فِيمَا لَا يَحِلُّ كَتْبُهُ وَلَا تَعَلُّمُهُ
لِقَصْدِهِ الْكُلُّ وَهَذَا كُلُّهُ فِي غَيْرِ النَّظْرَةِ الْأُولَى وَفِي الرِّسَالَةِ
وَلَيْسَ فِي النَّظْرَةِ الْأُولَى بِغَيْرِ تَعَمُّدٍ حَرَجٌ قَالَ تَعَالَى قُلْ
لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ الْآيَةَ وَالْعَيْنُ سَبَبُ الشَّرِّ وَهُوَ
فُوقَ إِبْلِيسَ الَّتِي إِذَا ضَرَبَ بِهِ لَمْ يُخْطِ وَمَا حَفِظَ أَحَدٌ بَصَرَهُ
إِلَّا حَفِظَ اللَّهُ قَلْبَهُ وَأَمَّا الْأَزْمَانُ فَيَجِبُ حِفْظُهُمَا عَمَّا
يَأْثَمُ بِسَمَاعِهِ كَغِيبَةٍ وَخَفِيفَةُ الْغِيبَةِ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا
فِيهِ يَكْرَهُ أَنْ لَوْ سَمِعَهُ وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْغِيبَةَ أَشَدُّ
مِنْ ثَلَاثِينَ زَنْيَةً فِي الْإِسْلَامِ وَفِي الْقُرْآنِ ذَمُّهَا وَتَشْبِيهُهَا
بِأَكْلِ لَحْمِ الْمَيْتَةِ وَفِي نَصِيحَةِ الْبَتِّ لِجَمِيعِ كُتُبِ لِشَيْخِنَا
الْمُخْتَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ عَنَّا وَجَعَلَنَا مِمَّنْ تَوَلَّاهُ
وَحَفِيفَتُهَا ذِكْرُ الرَّجُلِ أَخَاهُ بِمَا يَكْرَهُ خَلْقُهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ

وإلا فهو بهتان وكذا لو ذكرت له أبته أو ثوبه
أو داره أو شيئا مما يتعلق به مما يكره ومنه قوله صلى
الله تعالى عليه وسلم لعائشة في فيء لما قالت يا رسول
الله إن هذه المرأة لطويلة الذيل فاستفأت وقلت مضغة
لحم وقال والذي نفسي بيده لو مت وهي في بلك لدخلت
النار ولا أغني عنك من الله شيئا وكنميمة وهي نقل الكلام
للغير على جهة الإفساد وقد قال عليه السلام لا يدخل
الجنة قتات يعني نماما أي لا يدخلها في أول السابقين
وزور وفي الحديث من شهد زورا علق من لسانه يوم القيمة
وكذب والكذب من أكبر الكبائر وحقيقته نمفك بما
لا تشهده عيناك ولم تسمعه أذناك أو لم تنقله
عن موثوق به وقال مالك إذا كنت متكلما بكل ما سمعت
فأنت كذاب والحاصل أن كل ما لا يجوز التكلم به لا يجوز
سماعه وقد قال صلى الله عليه وسلم المستمع شريك
القائل وقال من تسمع حديث قوم بغير إذنهم صب

في اذنيه الا تكون يوم القيامة واما دواء القلوب فخمسة
قراءة القرآن بالتدبر واخلاء البطن وقيام الليل والتضرع
عند السحر ومجالسة الصالحين وقد جمعها بعض العلماء بقوله

دواء قلبك خمس عند فسوته ... فه م عليها تفز بالخير والنجح
خلاء بطن وقرآن تدبره ... كذا التضرع لدى ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل اوسطه ... وان تجالس اهل الخير والخبر

وفي المنهج قال ابراهيم ابن ادهم صاحبت اكثر رجال الله
تعالى في جبال لبنان فكانوا يوصونني اذا رجعت
الى ابناء الدنيا فعظهم بثلاث وقل لهم من يكثر الاكل لم يجد
لذة العبادة ومن نام كثيرا لم يجد في عمره بركة
ومن لم يرض الناس فلن يتم رضى الله تعالى وعن سهل
رحمه الله انه قال جماع الخير كله في هذه الخصال الاربع
وبها صارت الابدال ابدالا وهي اخماص البطن والصمت
والاعتزال عن الخلق وسهر الليل ثم اعلم ايها المريد
كلاك الله لنا ولك وليا ونصيرا ان العبادة شطران

شمر الاكتساب وشمر الاجتناب فالاكتساب فعل الطاعات
والاجتناب الامتناع عن المعاصي والسيئات وهو التقوى
وان شمر الاجتناب على كل حال اسلم واصلح وافضل واشرف
للعبد من شمر الاكتساب ولذا كان يشتغل المبتدئ
من اهل العبادة الذين هم في اول درجة الاجتهاد بشمر
الاكتساب جل همتهم ان يصوموا نهارهم ويقوموا
ليلهم ونحوه كان يشتغل المنتهون اولوا البصائر
من العباد بشمر الاجتناب انما همتهم ان يحفظوا قلوبهم
عن الميل الى غير الله وبطونهم عن الفضول والسنتهم
عن اللغو واعينهم عن النظر الى ما لا يعنيهم يا ايها المريد
احب لكل مومن ما تحب لنفسك تدخل الجنة بلا حساب
واكرم الضيف وان كان فاسقا واذع لوالديك بعد كل
فريضة ولا تحسد احدا من المومنين فان الحسود لا يسود
وان ملك احد من الناس فاعف عنه ولا تنتصر ولا تنزع
عليه يا ايها المريد كل من كان فوقك فاكرمه وبجله

وكل مركاة ونك بارحمة والملف به وكل مركان
مثلك فافعل له مثل ماتفعل لنفسك هذا آخر
الوصية فإن استعملت بها تنج في الدارين وتنل جميع
ماتأمل في الدنيا والآخرة رزقنا الله وإياك حسن
الخاتمة آمين بجاه المصطفى صلى الله عليه وسلم